٤٩

مقدمات أُحد

«لكم النصر ما صبرتم»

«قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم، ولا ينبغى لنبى إذا لبس لأْمَتهُ أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه. انظروا ما أمرتكم به فاتبعوه. امضوا على اسم الله تعالى، فلكم النصر ما صبرتم»

«رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم»

* * *

«مكـة.. وقد اقترب رمضان سنة ٣ هـ، وقريش لا تستطيع أن تطوى صدورها على أحزانها وأحقادها على من فقدتهم ببدر.. قد اشرأب زعماؤها للثأر.. جمعوا ويجمعون الأموال لتجييش الجيوش من الأعراب والأحباش لمهاجمة الإسلام ورسوله بالمدينة.. تحدثهم أنفسهم بأن المسلمين أقرب منالاً لصيامهم فى رمضان، وتطلعهم إلى الفطر فى شوال.. ها قد مضى قرابة حول على وقف العير أمام دار الندوة منذ عاد بها أبو سفيان أيام بدر فى رمضان الماضى.. الأحقاد تتزايد، والنار تتأجج فى نفوس الموتورين.. إن كثيرًا من العير لا تزال موقوفة بدار الندوة، لم يحركها أبو سفيان ولم يفرقها لغيبة أهل العير الذين لم يقيض لهم أن يعودوا من بدر..».

«دار الندوة بظاهر الكعبة.. موتورو قريش مجتمعون يتنادون بالثأر.. على رأسهم الأسود بن المطلب بن أسد، وجُبير بن مُطعم، وصفوان بن أمية، وحُوَيْطب بن عبد العزى، وعِكْرمة بن أبى جهل، وعبد الله بن ربيعة، والحارث بن هشام، وحُجَير بن أبى إهاب.. يلحق بهم أبو سفيان!!

المجتمعون : يا أبا سفيان، انظر هذه العير التى قدمت بها فاحتبستها، فقد عرفت أنها أموال أهل مكة ولطيمة قريش، وهم طيبو الأنفس، يجهزون بهذه العير جيشًا كثيفًا إلى محمد، وقد ترى من قُتل من آبائنا وأبنائنا وعشائرنا!

أبو سفيان : وقد طابت أنفس قريش بذلك؟

القرشيون : نعم!

أبو سفيان : تعرفون أنى أول من أجاب إلى ذلك وبنو عبد مناف معى..

«القرشيون يؤمنون مصادقين..»

أبو سفيان : (بعد برهة) فأنا والله الموتور الثائر، قد قتل ابنى حنظلة ببدر، وأشراف قومى!

بعض القرشيين : صدقت يا أبا سفيان، بع ما بقى من العير ثم اعزل أرباحها..

«القرشيون يتنادون موافقين..»

* * *

«مكة.. بعد أيام بدار الندوة.. القرشيون مجتمعون وقد جنوا من بيع العير خمسين ألف دينار.. يطمئنون إلى أن ما تحت أيديهم من أموال جنوها ستتيح لهم تجييش من يشاءون من الأعراب والأحباش لمداهمة المدينة والثأر من الإسلام ورسوله!».

بعضهم : نسير فى العرب فنستنصرهم، فإن عبد مناة غير متخلفين عنّا..

أحدهم : (مصادقًا) هم أوصل العرب لأرحامنا!

آخر : ومن اتبعنا من الأحابيش!

ثالث : فمن لنا بالسير إلى العرب؟!

«القرشيون يتداولون.. يستقر هواهم على أن يبعثوا إلى القبائل عمرو بن العاص، وهُبَيرة بن أبى وهب، وعبد الله بن الزبعرى، ومسافع بن عبد مناف، وأبا عزة عمرو بن عبد الله الجمحى.. يتململ أبوعزة وينبرى معترضًا!».

أبو عزة : (معترضًا) مَنّ علىَّ محمد يوم بدر وبما لم يمنه على غيرى!

قرشى : وما ذاك؟!

أبو عزة : حلفت لا أظاهر عليه عدوًا أبدًا!

صفوان بن أمية : (لأبى عزة – غاضبًا) بل تخرج!

أبو عزة : عاهدت محمدًا يوم بدر لا أظاهر عليه عدوًا أبدًا، وأنا أفى له بما عاهدته عليه..

صفوان : (معاتبًا) يا أبا عزة، إنك امرؤ شاعر، فأعنّا بلسانك واخرج معنا..

أبو عزة : (وقد لان بعض الشىء) إن محمدًا قد مَنّ علىّ فلا أريد أن أظاهر عليه!

صفوان : يا أبا عزة، أعنّا بنفسك.. فلك الله علىّ إن رجعت أن أغنيك، وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتى يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر!

«أبو عزة يركبه الصمت، ولا يجيب.. ينصرف عنه صفوان بن أمية آيسًا منه!».

* * *

«دار الندوة بظاهر الكعبة، وقد اجتمعت رؤوس قريش ترتب لخروج من قر الرأى على بعثهم لقبائل العرب.. يتجهز الجميع ما عدا أبا عزة عمرو بن عبد الله.. لا يزال على إحجامه وتردده.. صفوان بن أمية يعاود الإلحاح عليه، فيتدخل جُبير بن مطعم..».

جبير بن مطعم : (لأبى عزة مؤنبًا) ما كنت أظن أنى أعيش حتى يمشى إليك أبو وهب فى أمر تأبى عليه!

أبو عزة : (يستسلم محرجًا) فأنا أخرج..

* * *

«بظاهر مكة وقد خرج المبعوثون إلى قبائل العرب لتجييش من يستطيعون.. يلتئم فى الخارجين شمل أبى عزة عمرو بن عبد الله الجمحى، ومسافع الجمحى، فكلاهما موفد إلى بنى كنانة.. يتسابقان فى نظم الشعر لدعوة وتحريض بنى كنانة..».

أبو عزة : (ينشد)

إيهـا بنـى عبْـدِ منـاة الـرُّزام أنتـم حمـــاةٌ وأبوكـم حـامْ
لا تعـدونى نصركـم بعد العـامْ لا تسلمـونـى لا يحـل إسـلامْ

مسافع الجمحى : (ينشد)

يا مـالِ مـالِ الحَسَـبِ المُقـدَّم أنشـدُ ذا القُـرْبـى وذا التـذمّم
من كان ذا رحم ومن لم يَرْحُـمَ الحِلْفَ وسْـطَ البـلـدِ المحـرَّمَ
عند حطيمَ الكعبة المعظم

* * *

«دار جبير بن مطعم، يتجهز للخروج.. ينادى غلامه الحبشى وحشى..»

جبير بن مطعم : (لوحشى) يا وحشى، أعرف أنك قلما تخطئ فى قذف الحربة.. جهز نفسك لتخرج معنا إلى يثرب..

وحشى : أجل يا سيدى!

جبير : فإن أنت قتلت حمزة عم محمد، فأنت عتيق!

«وحشى يبتسم فى غبطة وسرور!!»

* * *

«بعد أيام فى أواخر رمضان، وعلى أعتاب شوال سنة ٣ هـ.. مكة تموج بمن تكاثروا واجتمعوا وحشدوا لغزو محمد.. قريش قد اجتمعت بقضها وقضيضهـا، وأحابيشها، ومن تابعها من بنى كنانة وثقيف.. تتهيأ الجموع وقد أربت على ثلاثة آلاف للتحرك.. قد تترسوا

بالعدة والسلاح، وفيهم سبعمائة دارع، يتقدمهم مائتا فارس، ومن خلفهم ثلاثة آلاف بعير..».

صفوان بن أمية : (مقترحًا) اخرجوا بالظُّعن (النساء)، فأنا أول من فعل.

قرشي : (معترضًا) وما لخروج النساء فى هذا الأمر؟!

صفوان : ذلك أقمن أن يُحفِظنكم ويذكّرنكم قتلى بدر، فإن العهد حديث ونحن قوم مستميتون لا نريد أن نرجع إلى دارنا حتى ندرك ثأرنا أو نموت دونه!

عكرمة بن أبى جهل : أنا أول من أجيب إلى ما دعوت إليه!

عمرو بن العاص : وأنا كذلك!

«ينحو آخرون لإظهار موافقتهم على خروج النساء..»

نوفل بن معاوية الدّيلى : (معترضًا) يا معشر قريش، هذا ليس برأى أن تعرِّضوا حُرَمكم عدوكم.. ولا آمن أن تكون الدائرة لكم، فتفتضحوا فى نسائكم!!

صفوان بن أمية : (مصممًا فى حماس) لا كان غير هذا أبدًا!

نوفل : (لأبى سفيان) يا أبا سفيان، ما هذا برأى.. أنعرض نساءنا ونفتضح فيهن إن كانت الدبرة علينا؟!

هند بنت عتبة : (لنوفل مقرعة) إنك والله سلمت يوم بدر فرجعت إلى نسائك.. (تستأنف) نعم نخرج فنشهد القتال..

نوفل : ما هذا برأى!

هند : قد رُدّت القيان من الجُحْفة فى سفرهم إلى بدر فقتلت الأحبة يومئذ!

أبو سفيان : (حاسمًا الأمر) لست أخالف قريشًا، أنا رجل منها.. ما فعلتْ فعلتُ!

«يرضخ نوفل على مضض.. يتنادى القرشيون لإحضار من لم يحضر من نسائهم.. يؤثرون أن يخرجوا بالظعن لتأليبهم وتحميسهم وحملهم على القتال.. تمشي هند بنت عتبة بين الرجال تحضهم وتحمسهم.. تلمح في غدواتها وروحاتها «وحشي» «عبد» جبير بن مطعم.. تعلم من أمره ما كلفه به سيده.. كلما مرت عليه أو مر بها تحضه وتستثيره..».

هند : (لوحشي محرضة) ويها (كلمة للتحريض) أبا دسمة (كنايته) – اشف واشتف!

❊ ❊ ❊

«دار العباس بن عبد المطلب.. منهمك في كتابة كتاب، ما إن انتهى منه حتى ختمه.. يدفعه إلى رجل مأمون له من غفار.. يكلفه بأن يطير به وبالخبر إلى محمد ﷺ بالمدينة..».

❊ ❊ ❊

«بظاهر مكة.. لخمس خلون من شوال.. موكب قريش وحلفائها.. يتقدمهم الفرسان في تيه وخيلاء في نحو مائتي فرس، وتحف بهم القيان يضربن الدفوف.. يحرضن الرجال، ويذكرنهم بقتلى بدر في كل بيت.. جحافل الحملة في ثلاثة ألوية.. لواء يحمله سُفيان بن

عُوَيف، ولواء فى الأحابيش يحمله رجل منهم، ولواء يحمله طلحة بن أبى طلحة».

* * *

«بعد يوم وبعض يوم.. جحافل قريش وكنانة وثقيف والأحباش تمر بالأبواء.. فى عسكر قريش أبو عامر الفاسق عمرو بن صيفى فى خمسين رجلا من المنافقين.. حرض قريشًا بمكة وخرج معها بقومه يعدونهم بالمؤازرة..».

هند بنت عتبة : (لأبى سفيان) أو بحثتم قبر آمنة بنت وهب.. أم محمد؟.. فإنها هنا بالأبواء!

أبو سفيان : وما لنا وقبر أم محمد؟!

هند : إن أسر محمد أحدًا منكم فديتم كل إنسان بإرب من آرابها (بعضو من أعضائها)!!

أبو سفيان : (يردد مستهولاً) ننبش قبرها ونأخذ رفاتها؟!.. دعينا ننظر ما تراه قريش!

«أبو سفيان ينادى بعض رؤوس الرأى من قريش.. فيلمح إليهم بما تقترحه زوجه!».

بعض القرشيين : أجل. قد خرجنا بالظعن معنا، ونحن نخاف على نسائنا..

أحدهم : (معقبًا فى خبث) فإن كان برًّا بأمه كما يزعم، فلعمرى ليفادينكم برمّة أمه، وإن لم يظفر بأحد من نسائكم، فلعمرى ليفدينّ رمّة أمه بمال كثير..(يضيف مستهزئًا) إن كان بها برًّا!!

شيخ : (مقرعًا) لا تذكروا شيئًا من ذلك، فلو فعلنا ما تقولون نبشت بنو بكر وخزاعة موتانا!!

* * *

«قباء على تخوم المدينة.. النبى – ﷺ ـ على باب مسجد قباء يهم بركوب دابته، يلاقيه الغفارى المبعوث إليه بكتاب العباس بن عبد المطلب.. يبادر الغفارى فيدفع إلى النبى – عليه السلام ـ بكتاب عمه العباس.. النبى – ﷺ – ينتحى بصاحبه أبى بن كعب.. يعطيه الكتاب فيفضه ويقرأ للنبى عليه السلام ما فيه..».

أبى بن كعب : (للنبى) يقول العباس إن قريشًا قد خرجت عن بكرة أبيها بقضها وقضيضها ومعها أحلافها من بنى كنانة والأحباش قاصدين المدينة.. أجمعت قريش أمرها على المسير إليك يا رسول الله.. يقول العباس فانظر فيما أنت صانع إذا حلوا بك فاصنعه.. (يتابع القراءة).. إنهم ثلاثة آلاف، يقودون مائتى فرس، وفيهم سبعمائة دارع وثلاثة آلاف بعير.. وأوعبوا من السلاح!

«النبى عليه السلام يستكتم أُبيًّا ما فى الكتاب.. يطلب إليه ألا يحدث أحدًا بما فيه.. يأخذ أُبيًّا فيعرج معه على بيت سعد بن الربيع..».

«بيت سعد بن الربيع.. يُفجأ بمقدم النبى عليه السلام.. ينهض مسرعًا يستقبل الرحمة

المهداة هاشًّا باشًّا مرحبًا.. يهيئ له المكان..
ما إن يجلس - ﷺ - حتى يستفسر سعدًا..».

النبى : هل فى البيت أحد؟

سعد بن الربيع : لا، فتكلم بحاجتك يا رسول الله..

«النبى - ﷺ - ينقل إلى سعد بن الربيع ما جاء بكتاب العباس.. سعد ينصت فى ترقب واهتمام بالغين.. يقطع الصمت قائلاً للنبى..».

سعد : يا رسول الله، إنى لأرجو أن يكون فى ذلك خيرا!!

«النبى عليه السلام يستكتمه الخبر، حتى يرى ما سوف يكون.. يخرج النبى عليه السلام وقد تجمع بعض الناس يملؤهم إحساس بأن فى الأمر شيئًا!!».

«النبى - ﷺ - فى طريقه إلى المدينة.. يتنادى بعض المنافقين واليهود بما لاحظوه.. يطلقون لخيالاتهم العنان.. ينتهزون الفرصة لبث اللغط والبلبلة.. يقولون للناس: «ما جاء محمدًا شىء يحبه»!!».

* * *

«بيت سعد بن الربيع بعد انصراف النبى - ﷺ - وأُبى بن كعب.. سعد بصحن الدار، يفاجأ بخروج زوجته من إحدى الحجرات..».

زوجة سعد : ما قال لك رسول الله؟!

سعد : ما لك ولذلك، لا أم لك؟!

الزوجة : قد كنت أسمع عليك..

سعد : وماذا سمعت؟!

الزوجة : سمعت ما قاله لك رسول الله عن خروج قريش قاصدة إلينا بالمدينة..

سعد : (وقد اشتد غضبه) قبح الله فعلك!! لا حول ولا قوة إلا بالله.. (مقرعًا) تستمعين علينا وأنا أقول لرسول الله - ﷺ - تكلم بحاجتك؟!!

«الزوجة يُرتج عليها.. سعد بن الربيع يشتد غضبه.. يجمع لبّتها ويخرج بها عدوًا قاصدًا اللحاق برسول الله - ﷺ..».

* * *

«بيت النبى بالمدينة.. ما يكاد يصل حتى يدخل فى أثره سعد بن الربيع بادى القلق والانفعال، آخذًا بخناق زوجته وقد بلغ بها الإعياء كل مبلغ».

سعد بن الربيع : (متهدج الأنفاس) يا رسول الله، هذه امرأتى.. (يستأنف) سألتنى عما قلت، فكتمتها، فإذا بها قد سمعت قول رسول الله!.. فجاءت بالحديث كله!.. (بعد برهة وقد تملكه الأسى) خشيت يا رسول الله أن يظهر من ذلك شىء فتظن أنى أفشيت سرك وقد استكتمتنى إياه!

النبى : (فى هدوء وسماحة) خلّ سبيلها..

«تنفلت الزوجة من يد زوجها.. تحمد للنبى عليه السلام أنه فرج كربتها..».

* * *

«بعد يوم.. النبى - ﷺ - وسط المسلمين بالمسجد النبوى بالمدينة.. يقدم عمرو بن سالم الخزاعى فى نفر من خزاعة.. يقصد مباشرة إلى النبى عليه السلام».

عمرو بن سالم الخزاعى: يا رسول الله، كنا قد خرجنا قاصدين المدينة، فوافينا قريشًا وقد عسكروا بذى طوى!

«يموج المسجد بردود فعل المسلمين.. يدعو النبى - ﷺ - ابنى فضالة الظَّفَرِيَّيْن: أنسًا ومؤنسًا.. يكل إليهما الخروج لاستطلاع أنباء قريش.. يبادران بالانصراف لإنفاذ أمر النبى عليه السلام..».

* * *

«طريق مكة المدينة.. عسكر قريش، فى بطن رابغ (على مسافة ليل من المدينة)، وقد تناهى إلى أبى سفيان أن عمرو بن سالم الخزاعى قد مر بهم فى نفر من قومه خزاعة.. تثور ثائرته..».

أبوسفيان: أحلف بالله أنهم جاءوا محمدًا فخبّروه بمسيرنا! وحذروه!.. وأخبروه بعددنا.. فهم الآن يلزمون صياصيهم (حصونهم)!! (محزونًا) فما أرانا نصيب منهم شيئًا!!

صفوان بن أمية : إن لم يصحروا لنا (لم يخرجوا للصحراء)، عمدنا إلى نخل الأوس والخزرج فقطعناه، فتركناهم ولا أموال لهم فلا يجتبرونها (يصلحونها) أبدًا.. (يستأنف) وإن أصحروا وخرجوا لنا فعددنا أكثر من عددهم وسلاحنا أكثر من سلاحهم، ولنا خيل ولا خيل لهم، ونحن نقاتل على وترٍ عندهم.. ولا وتر لهم عندنا!

* * *

«طريق مكة المدينة.. أنس ومؤنس ابنا فضالة يلحقان بقريش بالعقيق.. يندسان فى العسكر، مع جحافل الأحلاف حتى نزلوا بالوطاء.. وخلوا إبلهم وخيلهم فى الزرع الذى بالعريض.. أنس ومؤنس يطيران بالأخبار إلى رسول الله - ﷺ - بالمدينة..».

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة.. النبى - ﷺ - فى صحابته من المهاجرين والأنصار.. تتأكد الأخبار أن قريشًا وحلفاءها قد تركوا العريض صباح الجمعة بعدما أتت إبلهم وخيولهم على ما به من حرث وزرع..».

«النبى - ﷺ - يعهد إلى صاحبه الحباب ابن المنذر بالخروج إلى القوم لمزيد من الاستيثاق ولاستطلاع أخبارهم وعددهم وعدتهم وعتادهم!!».

النبى : (للحباب موصيًا) لا تخبرنى بين أحد من المسلمين، إلا أن ترى فى القوم قلة.

الحباب : أفعل إن شاء الله..

«ينطلق الحباب بن المنذر إلى غايته..»

* * *

«الحباب بن المنذر وقد عاد من مهمته.. قد أداها على خير وجه.. حزر ونظر إلى جميع ما يريد.. قد رأى أن قريشًا خرجت عن بكرة أبيها وأنها حشدت مع أحلافها من الأحباش وبنى كنانة عددًا غفيرًا يربو على ثلاثة آلاف غير الأفراس والدروع.. الحباب يتحين الفرصة للانفراد بالرسول عليه السلام ليخبره بما رآه، فقد أوصاه ألا يخبره بالأمر بين أحد من المسلمين حتى لا يفت فى عضدهم.. تلوح للحباب فرصة فيقبل على النبى ﷺ..».

* * *

النبى : (للحباب مستطلعًا) ما رأيت؟!

الحباب : رأيت يا رسول الله عددًا، حزرتهم ثلاثة آلاف، يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً، والخيل مائتى فرس، ورأيت دروعًا ظاهرة، حزرتها سبعمائة درع.

النبى : هل رأيت ظُعنًا؟

الحباب : رأيت النساء معهن الدِّفاف والأَكْبار (الطبول)!

النبى : أردن أن يحرضن القوم ويذكرنهم قتلى بدر.. هكذا جاءنى خبرهم.. (يستأنف عليه السلام موصيًا) لا تذكر من شأنهم حرفًا لأحد!

الحباب : لبيك يا رسول الله..

النبى : حسبنا الله ونعم الوكيل.. اللهم بك أجول وبك أصول.

* * *

«المدينة وقد غمرتها الأحداث، التوجس والقلق يملآن النفوس.. البعض لا يغالب قلقه من دلائل الرؤيا التى أُريها الرسول - ﷺ - يتلاقى رؤوس الأوس والخزرج يفكرون ويدبرون ماذا عساهم أن يفعلوا وقد أجمعت قريش وأحلافها لمهاجمة المدينة.. يتواصى وجوه الأوس والخزرج فيبيتون ليلتهم مدججين بالسلاح، يقوم بعضهم حارسًا بباب رسول الله - ﷺ - مخافة مفاجآت المشركين.. يجتمع رأى المهاجرين والأنصار على حراسة تخوم المدينة طوال الليلة..».

«بعد ليل من الترقب، وقد تنفس الصبح.. النبى - ﷺ - بالمسجد، يدعو إليه المهاجرين والأنصار يسألهم المشورة..».

النبى : (لصحابته) إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة ونجعل النساء والذرية فى الآطام (الحصون)، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن دخلوا علينا قاتلناهم فى الأزقة فنحن أعلم بها منهم، ورُمُوا من فوق الصياصى والآطام...

عبدالله بن أُبى : (محبذًا) يا رسول الله، كنا نقاتل فى الجاهلية فيها، ونجعل النساء والذرارى فى هذه الصياصى، ونجعل معهم الحجارة. والله، لربما مكث الولدان شهرًا ينقلون الحجارة إعدادًا لعدونا، ونشبك المدينة بالبنيان فتكون كالحصن من كل ناحية، وترمى المرأة والصبى من فوق الصياصى والآطام، ونقاتل بأسيافنا فى السكك... (يلتقط أنفاسه) يا رسول الله، إن مدينتنا عذراء ما فُضّت علينا قط، وما خرجنا إلى عـدو قط إلا أصاب منا، وما دخل علينا إلا أصبناه، فدعهم يا رسول الله، فإنهم إن أقاموا أقاموا بشر محبس، وإن رجعوا رجعوا خائبين مغلوبين مغلولين.. لم ينالوا خيرًا..

«يتنادى البعض مؤيدين ما يقول..»

عبد الله بن أُبى : (يستأنف متشجعًا) يا رسول الله، أطعنى فى هذا الأمر، واعلم أنى ورثت هذا الرأى من أكابر قومى وأهل الرأى منهم.. كانوا أهل حرب وتجربة..

«يموج المسجد بالآراء المتباينة.. يأخذ الحماس فريقًا من الشباب لم يشهدوا بدرًا وتملؤهم الأشواق للجهاد فى سبيل الله.. لا يرون ما يراه الشيوخ أن ينتظروا هجوم المشركين عليهم بعقر ديارهم بالمدينة.. إنهم ليتوقون إلى لقاء هذا العدو الذى جاء باغيًا لمهاجمة الإسلام ورسوله بالمدينة»

بعض الفتية : (وقد غلبهم الحماس) يا رسول الله، اخرج بنا إلى أعدائنا.. لا يرون أننا جَبُنّا عنهم..

عبد الله بن أبى : (يعترض محذرًا) يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منهم.. (يستأنف) يا رسول الله دعهم.. إن أقاموا فهم بشر محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم، ورماهم الصبيان بالحجارة من فوقهم.. وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا!!

«تتصادم الآراء.. ينتقل حماس الفتية إلى حمزة بن عبد المطلب وسعد بن عبادة والنعمان ابن مالك بن ثعلبة وطائفة من الأنصار..».

حمزة وسعد والنعمان : يا رسول الله، إنا نخشى أن يظن عدونا أنّا كرهنا الخروج إليهم جبنًا عن لقائهم، فيكون هذا جرأة منهم علينا!!

بعضهم : (محبذين) قد كنت يوم بدر فى ثلاثمائة رجل فظفرك الله عليهم، ونحن اليوم بشر كثير، وقد كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله تعالى به، فساقه الله تعالى إلينا فى ساحتنا..

«النبى ﷺ ينظر إلى ما اختلف فيه صحابته.. لا يبادر بتعقيب.. يريدهم أن يبلغوا غايتهم من المشاورة.. بينما بعضهم قد تعجل وحمل سلاحه وأخذوا يخطرون بسيوفهم متبارين..».

إياس بن أوس بن عتيك : نحن بنو عبد الأشهل.. إنا لنرجو أن نكون البقر المذبّح الذى يشير إلى من يستشهدون فى الرؤيا التى أراك الله بالحق يا رسول الله!

مالك بن سنان : يا رسول الله، نحن والله بين إحدى الحسنيين - إما أن يظفرنا الله بهم فهذا ما نريد، فيذلهم الله لنا كما أذلهم ببدر، فلا يبقى منهم إلا الشريد!!.. والأخرى يا رسول الله ما نبالى أيهما كان، إن كلاً لفيه الخير!

آخرون : (متصايحين) والله لا تطمع العرب فى أن تدخل علينا منازلنا!

حمزة بن عبد المطلب : والذى أنزل عليك الكتاب بالحق، لا أطعم اليوم طعامًا حتى أجالدهم بسيفى خارج المدينة!

النعمان بن مالك : (ملحفًا) يا رسول الله لا تحرمنا الجنة، فوالذى نفسى بيده لأدخلنها!

النبى : (للنعمان) له؟

النعمان : إنى أحب الله ورسوله، ولا أفر يوم الزحف.

النبى : صدقت.

إياس بن عتيك : يا رسول الله، لا نحب أن تَرجع قريش إلى قومها فيقولون: حَصَرْنا محمدًا فى صياصى يثرب وآطامها! فيكون هذا جرأة لقريش وقد وطئوا سعفنا.. فإذا لم نذب عن عرضنا فلم ندرع؟! قد كنا فى جاهليتنا والعرب يأتوننا، ولا يطمعون بهذا منا حتى نخرج إليهم بأسيافنا نذبهم عنا، فنحن اليوم أحق بذلك إذ أيدنا الله بك!

خيثمة أبوسعد بن خيثمة : يا رسول الله، إن قريشًا مكثت حولاً تجمع الجموع وتستجلب العرب فى بواديها ومن تبعها من أحابيشها، ثم جاءونا قد قادوا الخيل وامتطوا الإبل حتى نزلوا بساحتنا فيحصروننا فى بيوتنا وصياصينا، ثم يرجعون وافرين لم يُكلموا، فيجرئهم ذلك علينا.. يشنون الغارات، ويصيبون أطرافنا، مع ما قد صنعوا بحروثنا.. عندئذ سوف يجترئ علينا العرب من حولنا ويطمعون فينا إذا رأونا لم نخرج إليهم فنذبهم عن جوارنا، وعسى الله أن يظفرنا بهم فتلك عادة الله تعالى عندنا. أو تكون الأخرى فهى الشهادة!

النبى : (مراجعًا) إنى أخاف عليكم!

أنس بن قتادة : يا رسول الله، هى إحدى الحسنيين..

«النبى ﷺ يرى أن الناس أبوا إلا الخروج لمدافعة هجوم العدو الآتى لمداهمتهم.. يصلى عليه السلام بالناس، ويعظهم ويوصيهم بالصبر والجد والاجتهاد، ويخبرهم أن النصر لهم ما صبروا.. يتصايح المسلمون فرحين بالشخوص إلى «أحد» بظاهر المدينة لصد عدوهم..».

«النبى ﷺ وقد صلى العصر بالناس، وتوافدت الحشود، وحضر أهل العوالى، ورفعوا النساء والذرارى فى الآطام.. وتلبس الناس بالسلاح.. النبى ﷺ يدخل إلى بيته للتجهز ومعه أبو بكر وعمر يعينانه.. بينما اصطف الناس ينتظرون خروجه على شوق..».

«يظهر فجأة سعد بن معاذ، وأُسَيد بن حضير.. يخترقان الصفوف، ويقفان فى الناس معاتبين..».

سعد بن معاذ وأسيد بن حضير : (لائمين مقرعين) استكرهتم رسول الله على الخروج، والأمر ينزل عليه من السماء!!

بعض المسلمين : (وقد علاهم الندم) فما نفعل الآن؟!

سعد وأسيد : ردوا الأمر إليه، فما أمركم به فافعلوه، وما رأيتم له فيه هوَى أو رأيًا فأطيعوه!

بعض المسلمين : القول ما قال سعد.. القول ما قال أسيد..

«المسلمون فى تناديهم مستشعرين الندم على ما فرط منهم.. يخرج إليهم النبى عليه السلام

وقد لبس لأْمَتَهُ ودرعه فأظهرها.. وحزم وسطه بمنطقة من حمائل سيف من أدم، واعتم وتقلد السيف..».

المسلمون : (متصايحين فى ندم واستعبار) يا رسول الله استكرهناك، ولم يكن لنا ذلك، فإن شئت فاقعد!

النبى : قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم، ولا ينبغى لنبى إذا لبس لأْمَتَهُ أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه.. (يستأنف موصيًا) انظروا ما أمرتكم به فاتبعوه.. امضوا على اسم الله تعالى، فلكم النصر ما صبرتم.

* * *